الاردن اراضي صحراوية او شبه صحراوية (٣) · فضلا عن تدني معدل هطول الامطار وخصب الاراضي في غالبية المناطق الاردنية ، هذا الواقع ، اي مجمل الظروف والشروط الطبيعية غير المناسبة قد جعل مناطق شرقي الاردن تعاني اضعافا مضاعفة من الدمار والتخريب الذي حمله نظام السيطرة العثماني الى المنطقة عموما · وبالاجمال عانت « شرقي الاردن » اكثر مما عانت بقيـة الاجزاء السورية من نظام السيطرة العثماني ، ففضلا عن اشكال النهب والتخريب الذي حملته هذه السيطرة للمنطقة باسرها ، بما فيها شرقي الاردن ، كان الجزء الاخير يتعرض لتدهور متزايد في الشروط الطبيعية اللازمة لتجديد الانتاج ولتطور القوى المنتجة · والى موجات متزايدة الضغط من الهجرة البدوية الغازية التي احالت المناطق الخصبة الى مجرد مراع ، ودفعت الفلاحين الى هجرة قراهم والى تقهقر عام للريف ، حتى كاد يشمل هذا التقهقر في نصف القرن الماضي المناطق الجبلية الشمالية بكاملها · وهي المناطق التي كانت اكثر مناطق البلاد تطورا على المستوى الاقتصادي والاجتماعي ، واقدرها على تنظيم الدفاع عن نفسها (٤) · وكانت موجات الهجرة والغزو البدوي تفيض عن شرقي الاردن الى فلسطين وجنوب سورية ، بل وتصل الى شمال سورية وتهدد الزراعة والاستقرار الزراعي بالدمار الواسع · (٥)

ان تخلف النظام الاقتصادي ـ الاجتماعي العثماني ، ورجعية وسائله في السيطرة والنهب ، ثم تفسخه الاقطاعي فيما بعد ، قد جعلت من شرقي الاردن مرتعا للفوضى ولانعدام الاستقرار وللسيطرة البدوية · وحتى في اوج

---

(٣) ـ احتلت البوادي والصحاري مساحة ٧٢٫٥٠٠٫٠٠٠ دونم من اراضي البلاد البالغة ٩٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دونم · اي حوالي ٨٠٪ من المساحة الكلية للبلاد ، بعدما ثبتت حدود امارة شرقي الاردن · راجع :

A. Konikoff ; Trans Jordan,an Economic Survey , (Jerusalem 1946) Table v , P. 107 .

(٤) ـ قامت في نواحي المرتفعات الشمالية ما يشبه الدويلات الصغيرة او الكومونات الفلاحية ، بزعامة شيوخ العشائر والاسر الاقطاعية النافذة ، وكانت هذه تنظم دفاعاتها ضد الغزو البدوي وكان من وطأة الغزو والسيطرة البدوية (ولا سيما من بني صخر) ان ضعفت قدرة القرى على رد الهجمات البدوية في منتصف القرن التاسع عشر (١٨٤١ ـ ١٨٥١) واعتزم الاهالي على هجرة قراهم · والنواحي الوحيدة التي صمدت في وجه التهديد البدوي : جبل عجلون ، الكورة ، الكفارات · راجع : منيب الماضي وسليمان موسى : « تاريخ الاردن في القرن العشرين » ، عمان ١٩٥٩ ، المقدمة الخاصة بالعهد العثماني · كذلك راجع : فردريك بيك : المصدر المذكور انفا ، ص ١٦٥ و ١٨١ ·

(٥) ـ راجع بصدد التهديد البدوي للريف الفلسطيني وزراعته : نبيل بدران : الريف الفلسطيني قبل الحرب العالمية الاولى ، شؤون فلسطينية ، العدد السابع (اذار ١٩٧٢) ·